المقتطف

الجزء الثاني عشر من السنة التاسعة عشرة

دسمبر (كانون الاول) سنة ١٨٩٥ الموافق ١٤ جمادى الثاني سنة ١٣٣١

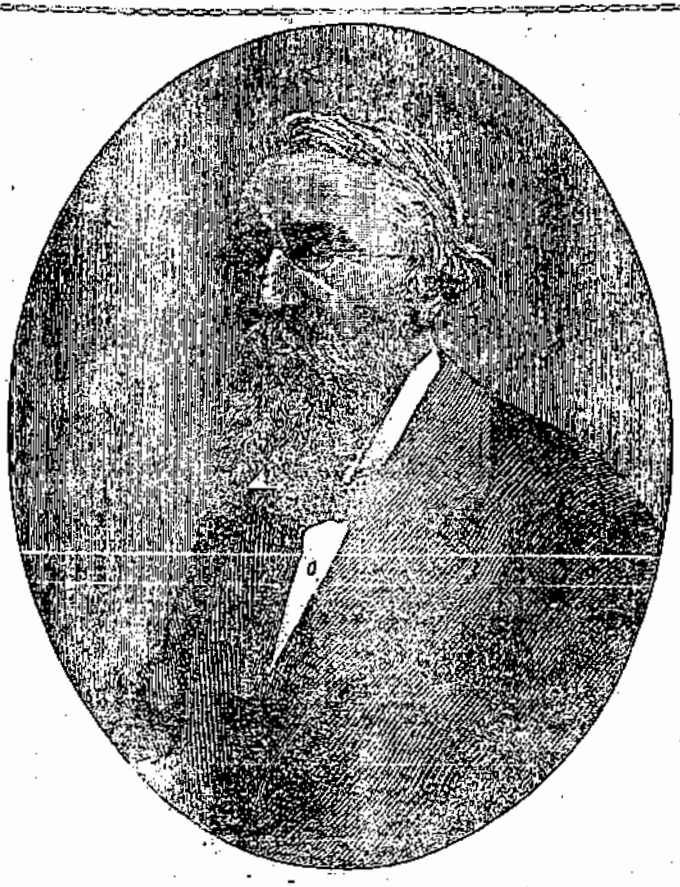

الدكتور كرنيليوس فان دَيك

فيما نحن نبيت في حال ونصبح في حال لما اصاب المشرق من الدواهي السود . ونتوقع انفراج الازمة وعود الصفاء لنسترد ما فات ونجاري أُمماً كادت تنازعنا الوجود . وفيما

القلوب واجبه . والالسن واجمه . والكوارث تتوالى . والنوائب تتالى . ونحن بين يأس نتلوه وأمل نرجوه

اذا بالشامِ يرجَفُ جانباهُ لركنِ العلمِ حينَ هوَى ومالا

فقد اصبحنا في الثالث عشر من هٰذا الشهر (نوفمبر) والبرق ينعي الينا استاذنا الاكبر . الدكتور كرنيليوس فان ديك غارس رياض المعارف . وناشر لواء الفضائل . مَن لو عدَّ المتفضلون على بلاد الشام لكان اعلاهم مقاماً . ولو حُسب الساعون في نهضتها العلمية والادبية لكان بينهم إماماً

وليس المقام مقام رثاء وتأبين والا لكتبنا رثاءهُ بدماء القلوب قضاء لحقٍ واجب . واستنزفنا خزائن اللغة في وصف مناقبهِ واذعناها في المشارق والمغارب . وانما سيرتهُ غرضنا لما فيها من المواعظ والحكم والارشاد الى سبل الرشاد . ومحاسن الاخلاق والشيم وخلائق المعروف وعواطف الوداد . وقد كنا جمعنا طرفاً منها ونشرنا بعضهُ في المجلد الثامن من المقتطف وبعضهُ في «سر النجاح» (١) . فرأينا ان نعيد ما ذكرناهُ هنالك ونتوسع فيهِ بما يحتملهُ المقام ونلحقهُ ببعض ما قالتهُ الصحف في تأبينهِ . ويقيننا ان القرَّاء الكرام يتعزون عن فقد فيلسوف الشرق بما ابقى من الفضائل والفواضل . وبأن غرس المعارف الذي غرستهُ يمينهُ يبقى يانعاً نضيراً ما دامت سيرتهُ تتلى في المدارس والمنازل

وُلد الدكتور كرنيليوس فان ديك في ١٣ اغسطس (آب) سنة ١٨١٨ في قرية كندرهوك من اعمال ولاية نيويورك بأميركا . ووالداهُ هولانديَّان هاجرا إلى الولايات المتحدة بأميركا وولدا غيرهُ سبعة هو اصغرهم . وكان في صغرهِ يتعلم في مدرسةٍ في قريتهِ فامتاز بالاجتهاد والثبات وبرع في اليونانيَّة واللاتينيَّة حتى حاز قصب السبق على رفقائهِ وكانوا كلهم اكبر منهُ سنّاً . وقد نقل لنا اولادهُ ما سمعوهُ من بعض اعمامهم عن اجتهاده والدهم في صباهُ وكلفهِ بالعلم والعمل معاً وهو انهُ حفظ اسماء كل النباتات البريَّة التي تنمو في تلك النواحي وتعلم ترتيبها وتقسيمها الى رتبها وصفوفها وفصائلها وانواعها حسب نظام لينيوس النباتي الشهير وجمع رواميزها وجففها ورتبها وسمَّاها بأسمائها حتى صار عندهُ منبتة ذات شأن وهو صبيٌّ صغير وكل ذلك رغبةً منهُ في العلم لا اجابةً لطلب ولا امتثالاً لامر ولا تعلُّماً من استاذ

واصابت اباهُ مصيبةٌ ذهبت بمالهِ واورثتهُ الفقر وذلك انهُ كفل صديقاً لهُ على مبلغٍ من المال فخان الصديقُ وغدر فاضطرَّ ابوهُ إلى بيع كلِّ ما يملكهُ من متاعٍ وعقار صوناً لشرفهِ

(١) انظر الصفحة ٦٩٨ من السنة الثامنة من المقتطف والصفحة ٢١٥ من سر النجاح المطبوع في مصر سنة ١٨٨٦

من العار ووفاء لدين الفادر . ولذلك لم يستطع ان يوازره الاَّ بالنزر اليسير ممَّا يحتاج اليهِ من الكتب ولوازم التعلُّم فكان مدَّة بقائهِ في بيت ابيهِ يجد الكتب بوسائط شتى فتارةً يستعيرها من رفاقهِ وتارةً يستأجرها بدريهمات قليلات يجمعها وتارةً يحفظ ما فيها بالسماع من قارئيها وتارةً يتذرَّع بالسعي في مصلحة انسان إلى قراءة كتاب يقتنيهِ وتارةً يجدُّ ويرجع خائباً . وكان في تلك القرية طبيب كريم الاخلاق يقتني مكتبةً فلما رأى اجتهادهُ في تحصيل المعارف وجهادهُ للتغلب على مصاعب الفاقة اخذتهُ الحميَّة ففتح لهُ ابواب مكتبتهِ وامتعهُ بمشتهى نفسهِ وامانيِّ صباهُ . وكان فيها كتاب كيثيه الشهير في علم الحيوان فاكبَّ على درسهِ ولم ينثنِ عنهُ حتى اغترف كل ما فيهِ . ثم تعلم كل ما تيسر لهُ علمهُ عن حيوان بلادهِ . ولم يمضِ عليهِ زمانٌ طويلٌ حتى جرى في ميدان المعارف شوطاً يُذكر فجعل يخطب في علم الكيمياء على فرقة من بنات بلادهِ وهو ابن ثماني عشرة سنة . وربما توهم الذين عرفوهُ او الذين اطلعوا على مؤلفاتهِ وسمعوا بواسع علمهِ انهُ كان كل ايامهِ محفوفاً بوسائط العلم والتعليم حاصلاً على ما يلزم من معدات التأليف والتدريس حتى حصَّل ما حصَّل والَّف ما الَّف ولكن الذين عرفوا احوالهُ حقَّ المعرفة يعلمون انهُ قاسى في صغرهِ اشقَّ المصاعب حتى تسهَّل لهُ تحصيل المعارف وانهُ قضى اكثر ايامهِ في ضنك فصار ابن خمسين عاماً وهو لا يقدر ان يبتاع الاَّ ما ندر من الكتب المستحدثة ولم يسعهُ الاَّ انفاق على تحصيل ما يشتهي من الكتب والجرائد والادوات العلميَّة الاَّ بعد سنة ١٨٦٧

وكان ابوهُ طبيباً فجعل يدرس الطب في صباهُ عليهِ وكان يخدم في صيدليتهِ فأتقن فن الصيدلة فيها علماً وعملاً ولمَّا حصَّل ما تيسر لهُ الحصول عليهِ عند ابيهِ جعل يتلقى الدروس الطبيَّة في سبرنكفيلد ثم أتمَّ دروسهُ في مدرسة جفرسن الطبيَّة بمدينة فيلادلفيا من مدن الولايات المتحدة حيث نال الدبلوما والرتبة الدكتوريَّة في الطب . وكان تعلمهُ في هذه المدرسة على نفقة ذويهِ فكانت مساعدتهم هذه لهُ اساساً للاعمال العظيمة الَّتي عملها في سوريَّة وسائر البلدان العربيَّة من التعليم والتهذيب والبرّ والخير والاحسان

وفي الحادية والعشرين من عمرهِ فارق الخلاَّن والاوطان واتى سوريَّة مرسلاً من قِبَل مجمع المرسلين الاميركيين وحلَّ في بيروت في ٢ ابريل (نيسان) سنة ١٨٤٠ ولكن لم تطل اقامتهُ فيها حتى قام منها بايعاز المجمع المذكور واتى القدس طبيباً لعيال المرسلين الذين كانوا فيها ايَّام فتوح ابرهيم باشا في بلاد الشام . فأقام فيها تسعة اشهر ثم قفل راجعاً إلى بيروت حيث شرع في درس العربيَّة . وحينئذٍ تعرَّف بالمرحوم بطرس البستاني وكانا كلاهما عزبين فسكنا

معاً في بيت واحد وارتبطا من ذلك العهد برباط المودة والصداقة وبقيا على ذلك طول الايام حتى صار يضرب المثل بصداقتهما . ولما توفي البستاني كان اشد الناس حزناً على فقده حتى انهُ لما طُلب منهُ تأبينهُ خنقتهُ العبرات وتلعثم لسانهُ عن الكلام وبقي برهةً يردد قولهُ « يا صديق صباي » حتى لم تعد ترى بين الحاضرين الاَّ عيناً تدمع وقلباً يتوجع

وجعل يدرس العربيَّة على الشيخ ناصيف اليازجي ثم على الشيخ يوسف الاسير الازهري وغيرهما من علماء اللغة وبذل الجهد في درسها والاخذ بجذافيرها حتى صار من المعدودين في معرفتها وحفظ اشعارها وامثالها وشواهدها ومفرداتها واستقصاء اخبار اهلها وعلمائها وتاريخها وتاريخهم. فهو بلا ريب اوَّل افرنجي اتقن معرفة العربيَّة والنطق بها والبيان والتأليف فيها حتى لم يعد يمتاز عن اولادها . وبقي على ذلك إلى خريف سنة ١٨٤٢ ثم انتقل إلى عيتات وهي قرية بلبنان واقترن هناك بالسيدة جوليا بنت مستر ابت قنصل انكلترا في بيروت المشهورة بفضلها وحسن اخلاقها. ثم انتقل من عيتات إلى قرية عبيه وهناك انشأ مع صديقهِ بطرس البستاني مدرسة عبيه الشهيرة وشرع من يومهِ في تأليف الكتب اللازمة للتدريس في تلك المدرسة فألف كتاباً في الجغرافية وآخر في الجبر والمقابلة وآخر في الهندسة وآخر في اللوغارثمات وفي المثلثات البسيطة والكرويَّة وفي سلك الابحر والطبيعيَّات وقد طبع بعضها وبعضها لم يطبع . وبعد ان قضى في عبيه اربع سنوات على ما ذكرنا في التدريس والتأليف دعاهُ مجمع المرسلين إلى صيدا وعهد في مدرسة عبيه إلى المرحوم سمعان كلهون رجل اشتهر بالفضل والاستقامة والتقوى. وبقي الدكتور فان ديك مع صديقهِ الفاضل الدكتور طمسن في صيدا وتوابعها معلماً واعظاً مبشراً جائلاً من مكان إلى مكان حتى توفي المرحوم عالي سمث سنة ١٨٥٧ فانتُدب الدكتور فان ديك لترجمة التوراة والانجيل مكانهُ

وكان عالي سمث قد باشر ترجمة التوراة والانجيل من اللغتين الاصليتين بمعاونة المعلم بطرس البستاني واتمَّ ترجمة سفر التكوين وسفر الخروج الاَّ الاصحاح الاخير منهُ وراجعها وصححها وترجم اسفاراً اخرى ولكن لم يراجعها فلما انتدب الدكتور فان ديك مكانهُ أبقى السفرين الاولين على حالها وترجم وراجع ما بقي وعانى في غضون الترجمة من الاتعاب ما لا يعرفهُ الاَّ الذين يعرفون تدقيق النصارى في التفتيش عن اصل كل لفظة من الفاظ كتابهم وعن معنى كل آيةٍ من آياتهِ . وتولَّى مع الترجمة ادارة المطبعة الاميركيَّة المشهورة وحسَّن فيها وزاد الشكل على الحروف حتى صارت من احسن مطابع المشرق واشهرها. وأتمَّ الترجمة سنة ١٨٦٤ وبعثهُ مجمع المرسلين إلى الولايات المتحدة سنة ١٨٦٥ ليتولى امر طبعها وعمل الصفائح بالكهربائيَّة

لها هناك فأقام في الولايات المتحدة سنتين حتى اتمّ ذلك وعاد إلى سورية سنة ١٨٦٧ . وليس من غرضنا الآن ان نصف هذه الترجمة التي شهد لها اعظم علماء الارض بالدقة والصحة ومطابقة الاصل وقد صارت النسخ المطبوعة منها الوفاً والوف الالوف حتى لم يبقَ مكان في المشرق الاَّ بلغت اليهِ وانتشرت فيهِ

وكان اثناء وجودهِ في اميركا يدرّس العبرانيَّة في مدرسة يونيون اللاهوتيَّة وكان الطلبة يعافون درس هذه اللغة قبل تدريسهِ لها ويأبون الحضور في ساعة تدريسها لصعوبتها ووعورة اسلوب التدريس . فلما شرع في تدريسها غيَّر هٰذا الاسلوب ولطول باعهِ فيها جعل يعلمهم اياها كلغةٍ حيَّة لا ميتة بحيث صار الطالب يجد في درسها معنى ولذة ويرغب في تحصيلها . فتقاطر الطلبة اليهِ وتكاثر عددهم فلما رأت عمدة المدرسة ذلك عرضت عليهِ ان يتولَّى منصب استاذ العبرانيَّة فيها وعينت لهُ راتباً كبيراً فاعتذر عن قبولهِ قائلاً « اني تركت قلبي في سوريَّة فلا لذة لي الاَّ بالعودة اليها » . وفي تلك الاثناء تم امر انشاء المدرسة الكليَّة في السوريَّة في بيروت عَلَى نفقة جماعة من اهل الخير في الولايات المتحدة باميركا فعرضت عليهِ عمدتها الكبرى في اميركا ان يكون استاذًا فيها فاجابها إلى ذلك ثم طلبت اليهِ ان يعين راتبهُ السنوي بنفسهِ فكتب ٨٠٠ ريال مع ان راتب اصغر استاذ فيها لا يقلُّ عن ١٥٠٠ ريال وقد فعل ذلك حبًّا بخير البلاد ونفع اهلها

ولما وصل إلى بيروت باشر تأسيس المدرسة الكليَّة الطبيَّة مع صديقهِ الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات . ووضعا نظاماً لدروسها وشرعا في التعليم من ساعتهما لا يحاسبان عَلَى اتعابٍ ولا ينتظران من احد تبجيلاً لقدرها ومدحًا لاسميهما . بل ان الدكتور فان ديك لمَّا رأى ان المدرسة تفتقر إلى استاذٍ يدرّس الكيمياء فيها أقبل من فورهِ عَلَى تدريسها حال كونهِ معيَّناً استاذًا لعلم الباثولوجيا وحدهُ . ولم يكن في المدرسة حينئذٍ من كل ادوات الكيمياء الاَّ قضيبٌ من زجاج وقنينة عتيقة فانفق من مالهِ مئتي ليرة انكليزيَّة عَلَى ما يلزم من الادوات . ولم يكن في يد التلامذة كتاب يطالعون فيهِ فجعل يلقي العلم علينا خطبًا مبتدئًا بالتجارب الكيماويَّة ومستطردًا من الجزئيات إلى الكليَّات على اسلوب يقرّب هٰذا العلم من الافهام ويرسخ حقائقهُ في الاذهان . وقد مرَّ علينا الآن نحو ثلاثين سنة ولا نزال نذكر اكثر ما كان يلقيهِ علينا من درر الفوائد لحسن الاسلوب الذي القاها بهِ . والَّف حينئذٍ كتابًا مختصرًا في مبادىء الكيمياء حفظناهُ خطًّا ثم توسع فيهِ وطبعهُ عَلَى نفقتهِ وهو يعلم انهُ لا يسترجع نفقات طبعهِ قبل مماتهِ . وبقي يدرّس هٰذا الفن ست سنوات متواليات و ينفق عَلَى لوازم

التدريس من جيبهِ. وجاء استاذ الكيمياء وبقي سنتين من الزمان يدرُس العربيَّة والدكتور فان ديك يدرّس مكانهُ مجانًا حبًّا بصالح المدرسة وخير ابناء البلاد. ولمَّا تولج استاذ الكيمياء اشغالهُ اعتزل الدكتور فان ديك عنها وترك للمدرسة كل ما انفق عليها ولم يأخذ مقابلهُ الاَّ مئة ليرة انكليزيَّة

ولم يقتصر على هٰذا التبرع بل انهُ تولج منصب استاذ ثالث وهو استاذ علم الفلك. وذلك ان المدرسة لم يكن عندها مال يقوم بنفقة استاذ لهذا العلم فتبرع بتدريسهِ مجانًا وألف لهُ كتابًا مسهبًا وطبعهُ على نفقتهِ ايضًا كما طبع كتاب الانساب والمثلثات والمساحة والقطوع المخروطيَّة وسلك الابحر. ولم يكن في المدرسة آلات فلكيَّة يعتدُّ بها فما لبثت ان شرعت في بناء مرصدها حتى ابتاع لهُ آلاتٍ بسبعمائة ليرة انكليزيَّة من مالهِ الخاص. وأثث وفرش فيهِ على نفقتهِ. وكان اسلوبهُ في تعليم الفلك مثل اسلوبهِ في تعليم الكيمياء والباثولوجيا مبنيًا على العمل والمشاهدة حتى يجد الطالب فيهِ لذةً قلما يجدها في درس العلوم العويصة كهذا العلم

وانشأ للمرصد اسمًا كبيرًا حتى صار معروفًا في المشارق والمغارب مقصودًا من القريبين والبعيدين مراسلاً لاشهر مراصد الارض. ولما خلفهُ احدنا في تدريس علم الفلك الوصفي الَّف كتابًا في الفلك العملي وجعل يعلّم بهِ الطلبة على الآلات. وكان مع تدريسهِ علم الباثولوجيا وعلم الكيمياء وعلم الفلك يتولى ادارة المطبعة الاميركيَّة فينقح ما يطبع فيها من الكتب ويهتم بتأليف النشرة الاسبوعيَّة ويطبب في مستشفى ماري يوحنا حيث كان يتقاطر اليهِ المرضى افواجًا افواجًا حتى يبلغ عددهم الالوف في السنة. وما بقي من الوقت الذي يخصصهُ غيرهُ بالنزهة والرياضة والراحة والنوم كان يقضيهِ في تأليف الكتب العلميَّة والطبيَّة والدرس والمطالعة والتجارب العلميَّة وحضور الجمعيات النافعة ومراسلة العلماء في سائر اقطار الارض حتى كان اهل بيتهِ لا يرون منهُ اكثر مما يرى منهُ الغريب. وكل ذلك قيامًا بالواجبات التي يعجز جماعة من الرجال عن القيام بها

ومن مزاياهُ انهُ لم يكن يؤخر الى الغد عملاً يقدر ان يعملهُ اليوم ولذلك كنت تراهُ معدًّا كل ما يُطلَب منهُ قبل زمان طلبهِ. وكان كلما طلب منهُ اهل بيتهِ ايام اشتغالهِ في المدرسة الكليَّة ان يستريح بين عمل وآخر ويؤخر الاشغال إلى اوقاتها حرصًا على صحتهِ يجيبهم: اخاف ان يفاجئني مرضٌ او يعارضني معارض فاكون سبب خسارةٍ لكل من تتعلق اشغالهم ومصالحهم بي فالواجب عليَّ ان اكون سابقًا في انجاز اشغالي حذرًا من ذلك. ولكثرة اهتمامهِ باشغال المدرسة واشتغالهِ بمصالحها عن غيرها كان اصحابهُ يكلمونهُ في ذلك فلا يسمع لهم حتى

صار من الاقوال الشائعة بين معارفهِ انك اذا رمتَ ان تكون عَلَى رضى مع فان ديك فاياك ان تشغلهُ بشاغلٍ عن المدرسة الكليَّة واذا اردت ان تسرَّ قلبهُ فكلمهُ عن المدرسة والتلامذة والمرصد والتأليف . وقد ألَّف اثناء وجودهِ في المدرسة الكليَّة كتابهُ في الباثولوجيا وهو مجلد ضخم وكتباً في التشخيص الطبيعي وفي الكيمياء وفي الفلك الوصفي وفي المثلثات والمساحة والقطوع المخروطية وكلها مطبوع . والف كتاباً في الفلك العملي وآخر في امراض العينين وآخر في تخطيط السماء وقد طبع حديثاً

ورأينا في تلك الاثناء انهُ يستحيل علينا ان نجاري الامم الغربيَّة في العلوم والمعارف اذا اقتصرنا على ما يترجم ويؤلف من الكتب لان العلوم الحديثة جارية جرياً حثيثاً فما يؤلف فيها هذا العام يمسي بعضهُ قديماً في العام التالي ولا بدَّ من جريدة تقتطف ثمار المعارف والمباحث العلميَّة شهراً فشهراً وتذيعها في الاقطار العربيَّة . فعقدنا النيَّة على انشاء المقتطف لهذه الغاية ورسمنا خطتهُ الَّتي سار عليها منذ انشائهِ إلَى الآن ولم نختر لهُ اسماً بل قمنا كلانا وذهبنا إلَى استاذنا الدكتور فان ديك وكان في المرصد الفلكي حيث كان يقضي اكثر اوقاتهِ فاستشرناهُ بما عزمنا عليهِ وسألناهُ ان يختار لنا اسماً لهُ . فابرقت اسرَّتهُ وجعل يشدّد عزائمنا ويسهِّل علينا الصعاب . وقال سمياهُ « المقتطف » واجعلاهُ كاسمهِ وحسبكما ذلك . ثم كتب إلَى صاحب السعادة خليل افندي الخوري الشاعر المشهور وكان مديراً للمطبوعات في سوريَّة يطلب اليهِ ان يسعى لنا في جلب الرخصة السلطانيَّة باسرع ما يمكن . ففعل ولم يمضِ شهر من الزمان حتى اتتنا الرخصة السلطانيَّة فذهبنا وبشرناهُ بها فقال سيرا في عملكما والله معكما وانا سأشرع من هذهِ الساعة في كتابة بعض الفصول للمقتطف . فكتب فصول اطباء اليونان والشرق ونشرنا اول فصل منها في الجزء الثاني من المقتطف الذي صدر في غرة يوليو (تموز) سنة ١٨٧٦ . واباح لنا كل ما عندهُ من الكتب والجرائد والآلات والادوات لكي نستعملها كما نشاء من غير سؤال

وفيما هو لاهٍ باشغال التأليف والتدريس والرصد والمراسلات العلميَّة عما سواها من مطامع البشر نكبت المدرسة الكليَّة بحادث ابعد عنها اكثر اساتذتها فتركها تحملاً آلام فراقها محافظةً عَلَى مبادئهِ . وبقي يطبب في مستشفى ماري يوحنا عَلَى جاري عادتهِ الى ان اضطرَّ ان يتركهُ على غير رضى منهُ . لكنهُ انما تركهُ ليحيي في الوجود مستشفى طائفة الروم الارثوذكسيين الذي صار لهُ الآن اياد تذكر في الرحمة بالمساكين ومعالجة المرضى والبائسين ووقع استعفاؤهُ من المدرسة الكليَّة موقعاً عظيماً في نفوس السوريين وغيرهم من ابناء

اللغة العربية لانهم حسبوا انهُ أُكرهُ عليهِ اكراهاً فجاءتهُ الرسائل تترى من كل انحاء البلاد العربيَّة مقرَّة بفضلهِ مبينة عظم منزلتهِ ومنها رسالة من دمشق الشام بامضاء الامير عبد القادر الحسيني الجزائري والسيد محمود حمزة مفتي الشام والشيخ سليم العطار والدكتور ميخائيل مشاقة وعبده بك القدسي وغيرهم هٰذا ونصها

"حضرة العلاَّمة الفاضل الفيلسوف الدكتور كرنيليوس فان ديك الجزيل الاحترام

غب سؤال شريف خاطركم الكريم مع الاحترام والاعتبار الخ ... اننا نحن محترمي جنابكم لدى تأملنا في استقالتكم من المدرسة الكليَّة ٱلَّتي لم تقم ولم يقم سواها من مرقيات المعارف الاَّ بهمتكم وفضلكم ولدى تفكرنا فيما انطويتم عليهِ من حسن السجايا والمزايا والمحبة لوطننا السوري الذي طالما خاطرتم بحياتكم ومصالحكم في سبيل نفعهِ وترقيتهِ ولدى نظرنا في مؤلفاتكم الجمة ٱلَّتي اعييتم النفس في تأليفها وفي التلامذة الكثيرين الماهرين الذين ظهروا ثمارًا لغرسكم لم يسعنا الحال ولا ارتاحت الحاسيات الاَّ إلَى اظهار الشكر لمعروفكم والاقرار بفضلكم. وجلُّ ما نستطيع تقديمهُ الآن لحضرتكم حبنا وانعطاف قلوبنا ومنتنا لكم ليعلم الغير ان الدكتور كرنيليوس فان ديك لهُ المنزلة الاولى في قلب كل سوري مخلص لوطنهِ وانَّ يدهِ الاقتدار على نفع بلادنا خارج المدرسة الكليَّة كما كان ينفعها فيها. فبناء عليهِ وعلى امور كثيرة سيظهرها المستقبل تبياناً لفضلك ايها الحبيب لابناء سوريَّة عمومًا رفعنا اليك رسالة المحبة والاعتبار سائلين الحق تعالى ان يحفظك ويبقيك طويلاً مع عائلتك الموقرة والمحبوبة عندنا ٱلَّتي نخص بالشكر منها شبلك الهمام الدكتور وليم ونؤمل انهُ لا يقلُّ عنك بشيء واطال الله تعالى بقاءك"

وبلي ذلك الامضاءات

وبقي بعد تركهِ المدرسة الكليَّة مكبًّا على التأليف والتصنيف ورصد الافلاك ومعالجة المرضى والاهتمام باشغالهِ في جمعيَّة المرسلين. وكان قد كلَّ بصرهُ من طول السهر ومشقات التأليف ولكنهُ بقي حتى آخر ايامهِ من أَبش خلق الله وجهاً والطفهم معشرًا واكثرهم انساً يقتحم الاشغال بهمة الفتيان. ويكاتب تلامذتهُ ومريديهِ ويسعى في كل مأثرة ويسبق الى كل مفخرة كما سيجيء. والصورة ٱلَّتي صدَّرنا بها ترجمتهُ منقولة عن صورة فوتوغرافية صورت منذ بضعة عشر عاماً. وسنأتي على بقية ترجمتهِ في الجزء التالي وننشر لهُ صورة اخرى فيهِ تمثلهُ في اخريات ايامهِ